الأدب الوافي عند غير المسلمين

د. سمير عبد الحميد - اليابان

ارتبط الأدب الأردي في شبه القارة الهندية بأسماء علماء وشيوخ كبار نشؤوا وتربوا في أحضان المدارس الدينية، ونهلوا من معين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فكتبوا أدبا تضمن إيمانا بالحقائق الدينية التي امتزجت بما في قلوبهم من مشاعر جياشة، وصفها الشيخ أبو الحسن الندوي بأنها نوع من الحرقة والألم.

وهكذا كان الأدب الأردي في عمومه أدبا إسلاميا بمعنى الكلمة، على الرغم من التأثر بالأدب الأوربي والثقافة الأوربية، ومحاولة بعض الأدباء والنقاد التشكيك في وجود الأدب الإسلامي وتصور بعضهم - كما قال الشيخ أبو الحسن الندوي، أن الإسلام والأدب لا يلتقيان، وأن الدين والأدب غير صنوان».

وفي الصفحات القليلة الآتية نوضح أن بعض الأنماط الأدبية التي لها ارتباط بالأدب الإسلامي، قد جذبت إليها بعض الشعراء المسلمين، وهذا أمر عادي، لكن العجيب أن تجذب الشعراء من غير المسلمين، وهذا أمر يستحق بلا شك اهتمام الدارسين والباحثين، وما نقصده هنا هو «أدب الدعاء والمناجاة، والمدائح النبوية» فهو نمط أدبي فيه من الصدق والإخلاص أكثر مما في غيره من أنماط الأدب الأخرى.

وقد يظن بعضهم أن هذا النمط من الأدب لم يعد له وجود في العصر الحديث، إلا أن الأدب الأردي لا يزال يتضمن نماذج رائعة لأدباء عاشوا في هذا العصر وأبدعوا في شعر المدائح النبوية والمناجاة، ومن شاء أن يطلع على بعض هذه النماذج، فليقرأ ماترجم للشاعر الإسلامي محمد إقبال عن الأردية والفارسية.

وفي شبه القارة الهندية الباكستانية لم يقتصر الأمر على ما كتب بالأردية والفارسية، فهناك شعراء كتبوا أيضا في هذا النمط بالعربية، وهذه أبيات لشاعر مجهول ينتمي إلى منطقة «مالابار» في جنوب غربي الهند على ساحل بحر العرب:

وكم لله من لطف خفي
يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر أتى من بعد عسر
وفرج كربة القلب الشجي
وكم أمر تساء به صباحا
و تأتيك المسرة بالعشي
إذا ضاقت بك الأحوال يوما
فثق بالواحد الصمد العلي

وليس من العجيب أن نجد هذا النمط الأدبي لدى شعراء اللغة الهندية أيضا، ويرجع هذا إلى تأثر أدباء الهندية بالأدب الأردي - وتأثر الشعراء الهندوس بمواطنيهم من الشعراء المسلمين، والحقيقة أن هذا النمط الأدبي كان من القوة بحيث جذب إليه بعض

شعراء الإنجليزية الذين كتبوا أيضا شعرا بالأردية. ولابد من الإشاره هنا إلى وجود فروق واضحة في أشعار الأدباء الذين ينتمون إلى الإسلام دينا، وأشعار الشعراء الذين ينتمون إلى الإسلام ثقافة إن صح التعبير بينما ينتمون إلى دين آخر.. وليس هذا بالأمر الغريب أن تأتي أشعارهم خالية من الحرقة والمشاعر الجياشة التي نلاحظها عند الأدباء المسلمين الذين كتبوا في هذا النمط الأدبي.

وأثبت هنا بعض النماذج المترجمة التي اقتبست بعضها من المقال الجيد «شعر المدح لدى شعراء الهندوس» الذي كتبه الشيخ ضياء الدين إصلاحي، وهو عالم جليل من علماء دار المصنفين / أعظم كره في الهند، في مجلة «كاروان أدب» أي قافلة الأدب»، لسان حال رابطة الأدب الإسلامي في شبه القارة، كما اقتبست بعضها الآخر من مجلة « أردو دايجست» التي تصدر في لاهور بباكستان.فمن شعراء الهندوس الذين ذاع صيتهم في الأدب الأردي نذكر «بندت ديا شنكر نسيم» الذي ينتمي أصلا إلى كشمير، وقد ولد في لكهنو ومات في شبابه سنة ١٨٤٣م، اتخذ اسما أدبيا، أو كما يقال بالمصطلح الأدبي الأردي «تخلصا» وهو «نسيم» مقلدا في ذلك الأدباء المسلمين، ورغم أنه نظم قصة لاتمت للإسلام بصلة لكنه تقليدا لشعراء الأردية المسلمين بدأ قصته بأشعار في مدح «الباري تعالى»:

ظهرت براعم الإبداع على الأغصان
فكانت ثمار ما خطه قلمي في حمد الرحمن
وعلى لساني جاءت في الحال كلمتان
هما: حمد الحق تعالى ومدح النبي سيد الأكوان

ثم يدعو الله بعد ذلك أن يطوع له لغة الشعر وأن يمنحه القدرة على نظم آلاف القصص.

ومن الشعراء الذين ذكرهم الشيخ ضياء الدين إصلاحي في مقاله سابق الذكر «منشي جكن ناتو خوشتر، واللفظ الأخير في الاسم هو تخلصه الذي اتخذه تقليدا للشعراء المسلمين الذين نظموا بالأردية والفارسية. وهذا نموذج مما نظمه بالأردية:

«من المناسب للبشر وقت الحاجة أن يناجوا ربهم طلبا للحاجة،
فمالك الدارين هو مدبر الحاجات، ولا شك أنه كريم رحيم بالكائنات
هو الغافر لكل خطايا البشر، يرزق الملك والشحاذ، ويحمي من كل شر،
فهو غفار، ستار.....ومن أسمائه أيضا: قهار، جبار،
هو الذي خلق النار للعصاة، وهو الذي خلق الجنة للتقاه،

هو الذي يهب اللذات في الحياة، وهو الواهب للعز والنجاة.

فإذا ما تألمت وصرخت وتضرعت ولجأت.. فلا تلجأ لأحد سواه».

وشاعر آخر يدعى «وهبي» من سكان لكهنو طبع له ديوان ضخم اشتمل على قصائد وغزليات ورباعيات، يفتتح ديوانه بهذه الأبيات يناجي فيها رب العزة:

يا إلهي ! أنت القادر، الغيور، الغني، الكريم.
يا إلهي ! أنت المالك، السميع، البصير، العليم.
يا إلهي! أنت الوارث، الحليم، الغفور، الرحيم.
يا إلهي ! أنت الحافظ، الحفيظ،العزيز، الحكيم.
أنت الواحد القدير، أنت المتكبر».

وهناك شعراء كثيرون نظموا في شعر الدعاء والمناجاة، نذكر منهم منشي برشاد سحر الذي ولد في بلدة بدايون بالهند، وقضى معظم حياته في دلهي ولكهنو. وكتب عدة رسائل باللغة الأردية في البلاغة والمنطق وغيرها، وله ديوان بعنوان «سحر سامري» وتتلمذ على يديه في الشعر وفن الخط كثيرون.

ومن الشعراء أيضا منشي جوالا برشاد برق (ت ١٩١١م)، وسورج ترائن مهر دهلوي (ت١٩٣٠م)، ومنشي تلوك محروم (ت ١٩٦٦م).

ومن الشعراء الهندوس الذين نظموا في شعر المدائح النبوية أو النعت الشاعر الهندي شيش تشندر طالب يقول:

«لو أن الهلال في السماء تكلم عن محمد.
لقال: إن مطلع النور من تلابيب محمد.
ما أعظم درس المساواة الذي علمه للبشر محمد.
لا يمكن أن ننسى أبدا فضل وإحسان محمد.
فالعبيدَ حررهم، وأطلق سراح الأسرى محمد
أحراراً في الدارين صاروا أتباع محمد
نال حب كل البشر هذا الإنسان محمد
ليس مسلما من لا يتمسك بتلابيب سنة محمد.
اقتبست منه جذوة نور الإيمان فانطلقت أنظم الشعر بعنوان محمد.
يا «طالب» لا يليق أن تسميه إنسانا
من لا يعرف قدر محمد».

أما الشاعر الهندوسي «بركاش ناته برويز» فيقول في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

«اسم محمد نور للعقل والفكر،
رسالة محمد هي أسمى رسالات العصر،
سيظل إلى الأبد منتشيا
من يشرب من كأس محمد،

القلب والروح رهينة تعاليمه
فكرمه وفضله على القلب والروح،
سمعت دقات قلبي تبلغني رسالة محمد
تخبرني بأن ما نطلق عليه إلهام محمد
هو سلم يقود إلى رفعة الحياة».

وختاما أدرج بعض الأشعار لأدباء مسلمين حتى يتضح للقارئ الفرق بين مشاعر الأديب المسلم و الأديب غير المسلم وخاصة في أثناء الكتابة عن موضوع يتعلق مباشرة بالعقيدة الإسلامية.

وهذه أشعار لشاعر مسلم يدعى م ع سملوي وردت في مجلة « كاروان أدب عدد أكتوبر – ديسمبر ١٩٩٥م تحت عنوان «نعت شريف»:

«من ذا الذي ناداني قائلا: لقد جئت هنا،
وجد اللسان حلاوة حين ردد «لبيك اللهم لبيك».
كنت في وطني مسجلا في قائمة العصاة
فمن ذا الذي أكرمني، وحملني فجأة إلى هذي الفلاة،
أين انا صاحب الوجه المسود بالذنوب
من هذه الأرض المقدسة؟!
هذا ليس بحلم، لكنها أفكار أتت على خاطري،
باسم من تنبض دقات قلبي وباسم من تضطرب؟!
وعلى سطح من هبط نور الأزل؟!
رأيت آلاف الحسان..وجوه كالقمر،
رأيت هنا الحسن بعينه،
رأيتهم جميعا في ظل رحمة الله،
من قال: إن ما أرى ليس من تأثير دعاء المصطفى!
فاشفع لي يا سيد المرسلين وقت الحشر
فأنا غارق في المعاصي.
لقد جئت أشد الرحال إلى مسجدك
أعبر البحار، أمضي على الطرقات، قاطعا الجبال والمسافات،
يا رسول الله! أنا أشكو لله مانحن فيه
فالمساجد في بلادي غير مصانة
والأرواح غير آمنة، و الأمة مهانة...»

ويتضح الفرق أكثر وأكثر حين نطالع ما كتبه شاعر الأردية الكبير ظفر علي خان:

ذلك الشمع الذي ظل ينير لأربعين سنة في الغار،
أضاء يوما إيوانات كسرى وبلاطات قيصر بكل فخار،
وأحال ليل الدنيا نهار،
لو لم يتردد في محفل الأرض والسماء صدى «لولاك»،
لما ظهرت هذه الألوان والورود في البساتين والرياض،
ولما ظهر هذا النور في النجوم والأفلاك.
ما لم يستطع الفلاسفة أن يحلوه،
وما لم يستطع الحكماء أن يعقلوه،
ذلك السر أخبر عنه سيد المرسلين – بإشارة بسيطة:
«لم تأت من دكان الفلسفة ببضاعة الإيمان،
فابحث عنها أيها العاقل تجدها في آيات القرآن»

ومن أشعار ظفر خان أيضا هذه الأبيات:

«جمالك زينة محفل الحياة
رونق جمال الدارين زكاة لحسنك،
نور ذاتك يبدو من طلعتك،
وغبار زقاقك كحل عين الكائنات،
لقد علمت الدنيا كلها أسلوب العمل،
ومن عرش «ألست بربكم»
أعطيت للأفلاك التجليات،
جلا لك قلب صفوف الكفر
فتحطم هبل وانكسر اللات». ■

ديبو المنحوس

محمد زهير الخطيب -كندا

خطبها ديبو لأنهم أخبروه أنها غنية، وأنها تملك العمارة التي تسكن فيها وتؤجر شققها وتدير أمورها من مكتب صغير في أحد أدوار العمارة.

فرح لتجاوبها معه ولضحكها لنكاته الحلوة التي جمعها من الإنترنت، وأحس أنه سيطلّق الفقر أخيرا، وأنه سيدخل معها في شهر عسل لن ينتهي إلا عندما يتمكن من الاستحواذ على عمارتها، ثم يتركها ليطير إلى أوروبا ليرى الدنيا ويتمتع بمباهج الغرب الساحر حيث لا رقيب ولا عذول.

ولما كان الوقت الذي يقضيه معها لا يكفي للتعبير عن «حبه العميق» فقد تبادلا «الإيميلات» ليتحفها بأحلى الكلام قبل أن تنام، وليرسل لها أجمل الصور والألوان عن الجزر التي اختارها لها لقضاء شهر عسل خرافي.

ما أتعس اليوم الذي أخبره فيه صديقه عباس بأن «حبيبة القلب» ماهي الا مشرفة على العمارة - مديرة- وليست صاحبتها! عندها أحس بالأسى وانهارت أحلامه المخملية، وتذكر أن أمه المرحومة كانت تسميه «المنحوس» عندما لا يطيعها، وعندما كان يعود إليها خائبا في كل أمر ترسله إليه.

رحم الله الوالدة! كانت مع حبها الشديد لي تسميني « المنحوس» لابد أنها تعرفني أكثر من نفسي.

على كل حال سأنتقم من هذه النصابة التي كانت ستوقعني في حبائلها وتتزوجني وهي على الحديدة، وجلس إلى حاسوبه يدبج رسالة قاسية إليها.

«عزيزتي فتحية:

لم أكن أعلم أنك ممثلة قديرة بهذا الشكل عندما حدثتني عن عمارتك المزعومة وثرائك الموهوم، ولقد سرحت بي بعيدا بكلامك المعسول عن مستقبل مشرق لا قهر فيه ولا فقر. لكم كنت أهبل عندما صدقتك ووثقت بك! كنت سأدفن شبابي في مقبرتك الموحشة، هل كنت تصدقين أني سأتزوجك لأمتع نظري بمنظر أنفك الطويل وعيونك «المعموصة» وشكلك الذي لا يُعرف طوله من عرضه؟ أم لضحكتك السخيفة التي تظهر منها أسنانك العوجاء كحبات الذرة الصفراء؟!

كانت أمي تسميني منحوسا، وهذه أول مرة أعرف أن أمي كانت على خطأ لأني اكتشفتك على حقيقتك قبل فوات الأوان.

أرسل لك هذه الرسالة «بالإيميل» لأني لا أطيق أن أرى وجهك النكد من جديد. الآن الساعة الواحدة ليلا وأنا أعلم أنك تنامين مبكرا، ستقرئينها غدا عندما تستيقظين لتكون آخر كلام بيني وبينك».

وفي اليوم التالي ذهب ديبو إلى عمله مبكرا كالعادة، وقابل صديقه «فاعل الخير» عباساً الذي نقل له الأخبار عن خطيبته، فأسرع إليه قائلا: أبشرك ياعباس، لقد أرسلت إلى فتحية أمس «إيميلاً» سيأتي بخبرها ويزلزلها، لقد شتمتها وأعلمتها أني تركتها. هذه النصابة الشمطاء.

فاهتز عباس وأجابه ضاحكا: لقد كنت أمازحك يا مجنون، فتحية فعلا غنية وتملك العمارة ولكن أردت أن أداعبك وأمازحك، فاصفر وجه ديبو وانهال على عباس بالشتائم والسباب، وأحس عباس بالندم وحاول أن يفكر بسرعة وأن يجد طريقة لإصلاح غلطته.

أنت قلت: إنك بعثت لها «الإيميل» أمس في وقت متأخر ليلا، والآن الساعة الثامنة والربع صباحا، إنها لم تستيقظ بعد، أمامك قليل من الوقت لكي تذهب إلى بيت فتحية قبل أن تفتح «إيميلاتها» وتتصرف بطريقة ذكية لكي تتمكن من حذف «الإيميل» الذي أرسلته لها قبل أن تقرأه...

فكر ديبو طويلاً وهو يقول: هل هذا معقول؟ فصرخ فيه عباس: نعم معقول.. هيا انطلق. وبدأ بدفعه بقوة نحو الباب، سأخبر المدير أنك ذهبت لأمر عائلي مهم، وأنك ستعود سريعا هيا... هيا...

انطلق ديبو يسابق الريح وتسابقه أفكاره... ماذا يقول وكيف يقول و... و...؟!

* * *

مَنْ بالباب؟ فتحت فتحية الباب وهي في ثياب النوم وشعرها منكوش. أنا ديبو أردت أن أفاجئك في هذا الصباح الجميل وأن نشرب معا فنجانا من قهوة قبل أن أذهب إلى عملي، رحبت به على استغراب ومضض، ومضت لتصلح من شأنها وتعد القهوة.

ما رأيك أن تفتحي لي الحاسوب لأرى رسائلي ريثما تأتين بالقهوة، استجابت له وفتحت له الحاسوب... الحمد لله لقد فتح الحاسوب بريدها الإلكتروني الشخصي بطريقة آلية دون الحاجة لكلمة السر لأنها كانت محفوظة، بدأ يستعرض «إيميلاتها» بقلق وبيدين مرتعشتين حتى وجد «إيميله» اللعين، فأسرع بحذفه... وتنهد تنهد المنتصر، وقام يغني أغنية «أنا واد خطير...» فأتته فتحية بالقهوة وهي تبتسم وتعجب من أحواله.

ارتشف ديبو قهوته بسرعة واعتذر من «حبيبة القلب» وخرج مسرعا إلى عمله قبل أن يحسبوا تخلفه غياب يوم، ولم ينس أن يحكي لعباس ماجرى مستعرضا ذكاءه وسرعة بديهته في حذف الخطاب اللعين... وضحكا معا حتى كادا أن يقعا على الأرض.

وجلس ديبو إلى مكتبه وفتح حاسوبه وبدأ بمباشرة عمله، ورغم أن التعليمات في الوظيفة كانت تقضي بمنع الموظفين من الدخول إلى مواقعهم أثناء العمل، غير أنه قرر أن يلقي نظرة سريعة على «إيميلاته» ليرى فقط هل فيها شيء مهم.

لم يجد شيئا مهمّاً، وقبل أن يخرج من موقع «الإيميلات» لفت انتباهه «إيميل» قادم من فتحية، فقال لنفسه: لعلها تريد أن نرتب لقاءً على الغداء أو ماشابه ذلك، فتحه وطعم الانتصار الكبير لازال في فمه وقرأ:

عزيزي ديبو..

أريد أن أنصحك بأمر قد يفيدك في حياتك الجديدة.

لاتترك الرسائل المهمة المحذوفة في سلة مهملات الحاسوب عليك أن تحذفها أيضا من سلة المهملات.

شكرا لسلة المهملات التي كشفتك على حقيقتك. ولا أقول لك إلا: وداعا ياديبو المنحوس!.

فتحية■

تذكرة للشعراء*

د. محمود فاخوري - سورية

جاء في كلام أحد الأئمّة: «اركب الآذيّ تشرب الماذي». أمّا الآذيّ فمعناه موج البحر، وأمّا الماذيّ فهو العسل. والمعنى في هذه العبارة واضح، وهو يقوم على الإصرار على مواجهة صعوبات الحياة من أجل تحقيق الغايات المنشودة والحصول على الراحة التامّة، كما قال أحمد شوقي:

أعدَّت الراحةُ الكبرى لمَن تعبا
وفاز بالحقّ مَن لم يألُه طلبا

(لم يألُه، بضمّ اللام: أي لم يقصّر في طلبه).

وقال أبو تمّام الطائي:

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها
تُنال إلاّ على جسرٍ من التعبِ

وقال بعضهم:

اطلب ولا تضجرَ من مطلبٍ
فآفة الطالب أن يضجرا
أما ترى الماء بتكراره
في الصخرة الصمّاء قد أثّرا

(تضجَرَ: بفتح الراء على حذف نون التوكيد الخفيفة لضرورة الشعر).

ومن أجل صعوبة العلم أو الأدب كان العلماء والأدباء من السَلَف ومن سار على نهجهم من الخَلَف يتوسّلون إليه بركوب الخطر، ومعاناة السفر، وإدمان السهر، وكثرة النظر، وإعمال الفكر. وبذلك كلّه ارتفع ذكرُهم، وعلا صيتُهم، ولمعت نجومُهم على مدى الأيّام.

وعلى سبيل المثال، خذ الشعراء الفحول من أمثال أبي تمّام الطائي والبحتري وابن الرومي والمعرّي وأبي نوّاس وغيرهم... أتظنُّ أنّ أحدهم وصل إلى ما وصل بالراحة والنوم؟ أم أصبح شاعراً مجلّياً بحفظه للأشعار، وإدمان النظر فيها، واقتناصه شواردها، وكثرة مخزونه منها؟

وأنا أذكر بعض الأمثلة على ذلك، وما آتاه الله سبحانه لبعض الأدباء والشعراء وسواهم من الاستيعاب المدهش لأشعار العرب وتراثهم التليد والطريف. وأبدأ بأبي نوّاس الذي قال: «ما قلت الشعر حتّى حفظت شعر ستّين امرأة فضلاً عن الرجال».

ورُوي أنّ أبا تمّام الطائي قال عن نفسه: «لم أنظم الشعر حتّى حفظت سبعة عشر ديواناً للنساء خاصّة دون الرجال». وكان أبو تمّام هذا يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير القصائد والمقاطيع.

أمّا أبو الطيّب المتنبّي فقد كان من المكثرين من نقل اللغة، والمطّلعين على غريبها، ولا يُسأل عن شيء إلاّ استشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر. وتفوّق عليه المعرّي في ذلك.

فأين «شعراؤنا» اليوم من أولئك الشعراء وأمثالهم؟ وكم بيتاً من الشعر يحفظون أو حفظوا قبل أن

ينظموا أنفسهم في سلك «الشعراء»؟ ولا أقول: كم قصيدة يحفظون من عيون الشعر العربي؟

حُكي أنّ الأديب الكبير أبا بكر الخوارزمي (-٣٨٣هـ) قصد حضرة الصاحب بن عبّاد، الوزير الأديب (٣٨٥هـ). فلمّا وصل إلى بابه قال لأحد حجّابه: قل للصاحب: على الباب أحد الأدباء، وهو يستأذن في الدخول. فقال الصاحب: قل له: قد ألزمت نفسي ألّا يدخل عليّ من الأدباء إلّا مَن يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب. فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك. فقال أبو بكر: ارجع إليه وقل له: هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء؟ فدخل الحاجب وأعاد عليه ما قال، فقال الصاحب: هذا يكون أبا بكر الخوارزمي. ثمّ أذن له في الدخول ورحّب به وأكرمه.

وذكر ابن قتيبة في كتابه «الشعر والشعراء» أنّ رَجلاً مسنّاً من حفّاظ الشعر يدعى أبا ضمضم جاء إليه فتيان بعد العشاء يزورونه، فقال لهم: ما جاء بكم يا خبثاء؟ قالوا: جئناك نتحدّث. قال: كذبتم، ولكنْ قلتم: كبر الشيخ، فعسى أن نأخذ عليه سقطة. ثمّ أنشدهم لمائة شاعر، وقيل: بل أنشدهم لثمانين شاعراً، كلّهم اسمه عمرو.

قال الأصمعي راوي الخبر: فعددت أنا وخلف الأحمر فلم نقدر على ثلاثين. ويعقّب ابن قتيبة على ذلك قائلا: «فهذا ما حفظه أبو ضمضم، ولم يكن أكثر الناس روايةً، وما أقرب أن يكون مَن لا يعرفه من المسمَّين بهذا الاسم أكثر ممّن عرفه».

واجتمع ثلاثة من بني سعد يراجزون بني جعدة (أي يبارونهم في إنشاد الأراجيز يعني القصائد المنظومة على بحر الرجز). فقيل لأحد الثلاثة: ما عندك؟

قال: أرجزُ بهم يوماً كاملاً إلى الليل لا أعجز ولا أعيا.

وقيل للثاني: ما عندك؟

فقال: أرجز بهم يوماً إلى الليل ولا أنقطع.

وقيل للثالث: ما عندك؟

قال: أرجز بهم يوماً إلى الليل ولا ينفد ما عندي.

فلمّا سمع بنو جعدة كلام الثلاثة انصرفوا وعدلوا عن مراجزتهم.

وأخيراً ليسمع شعراؤنا الشباب قول الطائي الأكبر:

ولكنّني لم أحوِ وفراً مجمّعاً
فضزتُ به إلّا بشملٍ مبدّدِ
ولم تعطني الأيّام نوماً مسكّناً
ألذّ به إلّا بنومٍ مشرّدِ

وقال مالئ الدنيا وشاغل الناس:

دعيني أنلْ ما لا يُنال من العلا
فصعبُ العلا في الصعب، والسهلُ في السهل

المعري

أبو تمام

المتنبي

(*) مجلة الضاد، العدد الثاني، ٢٠٠٩م، تصدر في حلب، سورية.

(**) أستاذ بكلية الآداب بجامعة حلب، عضو هيئة التحرير بمجلة الضاد.

أمواج الحرية

خالد إبراهيم - قطر

الشخصيات:

- الشيخ أكرم
- المحقق
- جندي١
- جندي٢
- طفل١
- طفل٢

(يفتح الستار على قاعة تحقيق بها طاولة خلفها كرسي يجلس عليه الجنرال المحقق وأمامه بعض الأوراق وهاتف وبجوار الطاولة كرسي وقفص حديدي)

جندي١: (يدخل بحركات مضحكة تنم على ارتباكه وذعره ويؤدي التحية العسكرية باليسرى فيشير له الجنرال فيؤديها باليمنى) الإرهابي الخطير بالخارج يا جنرال.

المحقق: أدخله **(ينظر في يديه أولا ثم يؤدي التحية باليمنى).**

(جندي١ وجندي٢ يدخلان بالشيخ معصوب العينين ومكبلا بسلسلة حديدية)

جندي٢: الإرهابي المتطرف يا جنرال.

الشيخ: (يجلس على الكرسي).

المحقق: كيف رأيت الكرسي؟!

الشيخ: بنور البصيرة.

المحقق: أوقفوه.. وانزعوا العصابة عن عينيه.. فلا فائدة لها..

(جندي١ يوقف الشيخ وهو خائف منه، وجندي٢ ينزع عنه العصابة).

المحقق: اسمك؟

الشيخ: أكرم.

المحقق: جنسيتك؟

الشيخ: مسلم.

المحقق: هل تظنني غبيا لهذه الدرجة؟!.. شيخ يعني مسلما.. ما بلدك؟

الشيخ: أنا ولدت في مصر.. وأعيش في قطر.. وقدمت من تركيا.. لنصرة إخواننا في فلسطين..

المحقق: مصيبة.. كل هؤلاء اتحدوا علينا..

الشيخ: وحتى تكتمل مصيبتك.. أنا أمثل الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في أسطول الحرية..

المحقق: ظننا أن عدونا الشيخ القرضاوي قد كبر في السن وأنه لن يستطيع المشاركة في الهجوم علينا.. فإذا به يرسل لنا تلميذه..

الشيخ: ليس تلميذا واحدا..

المحقق: كم؟! قل لي كم حتى نستعد.. اثنان.. ثلاثة.. خمسة..

الشيخ: الآلاف.. الآلاف من تلاميذ الشيخ وإخوانه قادمون.. قادمون لتحرير المسجد الأقصى..

المحقق: هؤلاء هم الذين نخاف منهم.. نحن لا نخشى الجيوش العربية.. فقط نخشى من الذين يقولون: الله أكبر..

الشيخ: لماذا تخافون منهم كل هذا الخوف؟!..

المحقق: لأننا جئنا من كل بلاد الدنيا إلى هنا لنعيش.. أما هم فيأتون للموت..

الشيخ: هم لا يموتون..

المحقق: لا يموتون.. لماذا؟!..

الشيخ: هم أحياء عند ربهم يرزقون..

المحقق: اسمع يا شيخ أكرم.. لن أحقق معك.. وسأطلق سراحك.. إذا وقعت على هذه الورقة.. (يناوله إياها فيقرؤها ويلقيها على الأرض)

الشيخ: لن أوقع على هذه الأكاذيب..

المحقق: أنت دخلت إسرائيل بطريقة غير شرعية..

الشيخ: لن أدخل فلسطين وأنتم فيها.. عندما سأدخلها سيكون ذلك لطردكم..

المحقق: لكن أنت هنا الآن..

الشيخ: لأن قراصنتكم خطفونا من عرض البحر..

المحقق: أنت إرهابي متطرف.. اعتديت على جنود إسرائيل الأبطال.. الذين لا يقهرون.

الشيخ: أبطال.. لا يقهرون..

المحقق: نعم أبطال.. لا يقهرون.. ماذا فعلوا معكم يا كوهين؟!

جندي١: لا داعي يا جنرال.. لا داعي..

المحقق: تكلم حتى نثبت ذلك.. وندينه في التحقيق..

جندي١: عندما نزل جنودنا من الطائرات على سطح السفينة.. أمسك بهم هؤلاء الإرهابيون.. وضربوهم بالعصي..

الشيخ: عصيٍ في مقابل رشاشات وقنابل.. ثم تقول: أبطال..!

جندي٢: لا.. ضربونا بالرصاص أيضا..

المحقق: ومن أين حصلوا على الأسلحة؟!

جندي٢: خطفوها من جنودنا..

الشيخ: الأبطال..

المحقق: اعتديتم على الجنود الطيبين المساكين.

الشيخ: الكتاكيت..

المحقق: نعم..

الشيخ: الآن صار الأبطال مساكين.. كتاكيت..

المحقق: نعم.. أمام الإرهابيين أمثالك.. فهم متحضرون.. مسالمون..

الشيخ: مسالمون.. هل كنت تريدنا أن نستقبل القراصنة الذين هجموا على سفينتنا في أعالي البحار ونحن نصلي الفجر بالورود؟!..

المحقق: كانوا يدافعون عن أنفسهم..

الشيخ: يا كَذَبَة!.. من الذي يدافع عن نفسه؟!.. ١٢٠٠ قرصان مزودون بأحدث الأسلحة.. تدعمهم الطائرات والبوارج في مقابل ٦٠٠ مدني، منهم نساء وشيوخ عمرهم ٨٢ عاما وحتى محمد الفاتح..

المحقق: لو كنا نعرف أن محمداً الفاتح هذا فيهم.. لكنا أرسلنا ألف جندي آخرين ليقبضوا عليه.. ذلك الإرهابي الخطير.. هو الذي حرض المتطرفين على المقاومة..

الشيخ: هل تعرف محمداً الفاتح الذي كان معنا على ظهر السفينة مرمرة؟!

المحقق: نعم.. الموساد لا يخفى عليه شيء..

الشيخ: كم عمره؟

المحقق: **(ينظر في الأوراق)** لم يذكروا عمره..لكنه المحرض على الأحداث الإرهابية..

الشيخ: محمد الفاتح الذي كان على السفينة.. عمره سنة.. سنة واحدة..

المحقق: سنة واحدة ويعمل كل ذلك!.. ماذا لو أصبح عمره عشرين سنة؟!

الشيخ: سيحرر المسجد الأقصى..

جندي١: احكم على هذا الإرهابي بالسجن المؤبد يا جنرال.

جندي٢: ثلاثة مؤبدات يا جنرال.

جندي١: اجعلها خمسة مؤبدات يا جنرال..

الشيخ: والله لو كانت ٦٧ مؤبدا كما فعلتم مع المجاهد القسامي عبد الله البرغوثي.. لن أهتم.. فسيأتي محمد الفاتح الجديد وإخوانه لتحريرنا.. وتحرير فلسطين..

المحقق: نحن عندنا عدالة.. نحن جهة تحقيق فقط.. أما المحكمة فهي التي ستحكم عليك بعشرين مؤبدا فقط..

لن ترى النور مرة أخرى يا شيخ أكرم..

الشيخ: يكفيني في السجن.. أن أتنفس عبير فلسطين..

(تسمع من الخارج أصوات أطفال فلسطينيين يهتفون: الحرية لأبطال الحرية.. غزة حرة)

المحقق: **(يجلس على مكتبه خائفا)** ما هذه الأصوات؟!.. اقبضوا عليهم..

(يخرج جندي١ وجندي٢ ويقبضون على أطفال يرتدون الكوفيات الفلسطينية)

الشيخ: مرحبا بجيل العزة.. مرحبا بجيل النصر.. **(يطوقونه بالأزهار)**

طفل١: جزاكم الله خيرا.

طفل٢: بارك الله فيكم.